المحاضرة 01: مفهوم مجتمع المخاطرة

أولا- تعريف مجتمع المخاطرة:

هو مصطلح من كلمتين: مجتمع ومخاطرة، ويعرفه لاروس الصغير: « هو إمكانية أو احتمال فعل حادث فيه أذى أو ضرر، وهو المجتمع الذي يشرف على الهلاك"، ومجتمع اليوم هو مجتمع المخاطرة الذي يعاني من مشكلات عديدة مروعة من حوادث الطرقات إلى الجريمة بكل أنواعها، إلى الجرائم الجنسية والإدمان على المخدرات، وفساد الأغذية، وانتشار الأمراض والأوبئة، وتلوث البيئة ومشكلات البطالة والفقر والإرهاب وغيرها من ظواهر باثولوجية خطيرة تهدد أمن المجتمع بكل فئاته، حتى تلك المصنفة في قمة السلم الاجتماعي حيث انتشر الخوف والقلق لدى الجميع على حاضرهم ومستقبلهم، وهذا بالذات ما يتوافق مع الوصف الذي قدمه أولريش بيك Ulrich Beck بأن وصفه من خلال الموقف الذي يمكن أن ينتج أقل قرار فيه أخطر كارثة، حيث أن التغيرات التي تتعرض لها البيئة تنطوي على مضاعفات بالغة الخطورة بالنسبة لجميع حقوقنا كبشر، ومخاطر المواد الكيميائية السامة والنفايات، والتلوث، ...الخ، وما من أحد يستطيع تجنب آثار زيادة حرارة كوكب الأرض».

يعرف علم اجتماع المخاطر بأنه ذلك العلم الذي يهتم بفهم وتفسير ظاهرة المخاطرة بأسبابها ونتائجها في السياق التاريخي والمجتمعي ككل، وتفسرها تفسيرا سوسيولوجيا كما أنه معني تحديدا بدراسة المخاطر والأخطار المنبعثة من عصر الحداثة وما بعدها، أي أنه يتناول بالدراسة المخاطر التي يعرفها عالمنا اليوم وأقرها على المجتمع الإنساني، وهو يرتبط بشكل كبير بإسهامات عالم الاجتماع الألماني أورلش بيك الذي يعزى له الفضل في صياغة مفهوم « مجتمع المخاطرة »، كما يبرز في هذا المجال علماء آخرين مثل العالم الانجليزي أنطوني جدنز والألماني نيكولاس لوماس.

وهنا بعض التعريفات الموجزة من قبل هؤلاء الباحثين:

عرفه أولريش بيك: على أنه طريقة منهجية للتعامل مع المخاطر وانعدام الأمن الناجم، ويتم عرضه من قبل الحداثة نفسها.

كما عرفه أنتوني غيديز: هو المجتمع الذي تتزايد فيه الفجوة الطبقية بين الأغنياء والفقراء، فهذا المجتمع يعد من مجتمعات الخطر.

عرفه روبرت كاستال: في كتابه الأمن الاجتماعي، " مجتمع المخاطرة هو المجتمع الكارثة أين تكون فيه الحالة الاستثنائية تهدد بأن تصبح حالة عادية ".

أما نيكلاس لومان: في كتابه " المخاطرة، نظرية سوسيولوجية " عرف المخاطر، على أنها أذى محتمل يخيف الفرد، ويرتكز على قرار اتخذه بنفسه، إنها عملية حسابية تأخذ بعين الاعتبار الخسارة والفائدة المحتملة بالاستناد إلى الزمن.

إذن لم اجتماع المخاطر هو نظرية اجتماعية تصف إنتاج وإدارة المخاطر في المجتمع الحديث، ولا يعني مفهوم مجتمع المخاطر بذاته أنه مجتمع تزيد فيه معدلات الخطر، بقدر ما يعني أنه مجتمع منظم لمواجهة المخاطر، لأنه مشغول بالمستقبل وبالأمن في شكل متزايد، وهو الذي ولّد فكرة الخطر. وإذا كان البشر تعرضوا للمخاطر طوال تاريخهم المكتوب، إلا أن المجتمع الحديث معرض لنمط خاص من الخطر، والذي هو نتيجة لعملية التحديث ذاتها. وإذا كانت هناك مخاطر نتيجة لأسباب طبيعية كالزلازل والفيضانات، والتي لها آثار سلبية على الناس، إلا أن المخاطر الحديثة من ناحية أخرى هي نتاج النشاط الإنساني في الأساس، وسلبيات العولمة التي ساعدت على عولمة المخاطر، بحكم الثورة الاتصالية وسرعة تنقل البشر من مكان إلى مكان آخر في المعمورة.

ثانيا- نشأة مجتمع المخاطرة:

في ظل التغيرات التي طرأت على المجتمعات الإنسانية تحولت من مجتمع الأمن إلى مجتمع المخاطرة حيث تركت أثارا على جوانب الحياة الاجتماعية جميعها تقريبا، وقد مست هذه التغيرات الجانب الصحي والاقتصادي والثقافي والبيئي، بل كل مجالات الحياة. ويرى الأستاذ السيد ياسين أن هناك ملامحاً خمسة رئيسة لخريطة التحولات العالمية للمفهوم:

التغير الأول: الانتقال من النموذج المعرفي للمجتمع الصناعي إلى النموذج المعرفي لمجتمع المعلومات العالمي الذي نشأ عنه مجالاً عاماً جديداً هو الفضاء الافتراضي الذي تتدفق فيه المعلومات من خلال شبكة الانترنت، وتتم فيه التفاعلات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين أطراف عالمية شتى.

التغير الثاني: هو الانتقال من الحداثة إلى العولمة، التي لها تجليات متعددة منها:

- العولمة السياسية، وشعاراتها الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان واحترام التعددية.
- العولمة الاقتصادية، التي تسعى إلى خلق سوق عالمية واحدة، تُعبر عنها وتدعو لها منظمة التجارة العالمية، وجوهر العولمة الاقتصادية التي تهدف إلى تحويل اقتصاديات الدول إلى اقتصاد السوق.
- العولمة الثقافية: وتعني بروز ثقافة كونية، أساسها إحداث تغيير في معتقدات الناس وعاداتهم وقيمهم، وتعميم ثقافة السوق والاستهلاك.

التغير الثالث: وهذا التغير، يأتي كمحصلة للتحولات العالمية في الاقتصاد والسياسة والثقافة والمعرفة والتكنولوجيا، أي بروز ظاهرة "مجتمع المخاطر."

التغير الرابع: هو سقوط النموذج القديم للأمن القومي وبروز نموذج جديد هو الأمن القومي المعلوماتي.

التغير الخامس: هو بروز قيم حضارية جديدة في أنحاء العالم، أبرزها "المسح العالمي للقيم " الذي أشرف عليه عالم الاجتماع الأميركي **إنجلهارت** مما يكشف عن بروز وعي كوني جديد، ومن علامات هذا التغير ظواهر القرصنة الإلكترونية وتخريب قواعد البيانات واستخدام الجماعات الإرهابية لشبكة الانترنت في التواصل.

ثالثا- بعض مفاهيم علم اجتماع المخاطرة:

- **المخاطرة والكارثة**: لا تستوي المخاطرة مع الكارثة من حيث المعنى والأهمية، فالمخاطر تعني التنبؤ بالكارثة أي أن المخاطر تتعلق بإمكانية أن تطرأ أحداث وتطورات مستقبلية، وهي تستحضر حالة عالمية لا توجد (حتى الآن)، بينما يكون لكل كارثة محددة مكانها وزمانها واجتماعها، ولا يُعرف توقع الكارثة تحديد مكانيا أو زمنيا أو اجتماعيا ملموسا، أي أن تصنيف المخاطر يعني الحقيقية الجدلية للإمكانية التي يمكن الفصل بينها وبين الإمكانية الحدسية البحتة من جانب وبين حالة الكارثة الطارئة من جانب آخر، وفي اللحظة التي تصبح فيها المخاطرة واقعا أي عندما ينفجر مفاعل نووي أو عندما يحدث هجوم إرهابي، فهي تتحول إلى كارثة والمخاطر هي دائما أحداث مستقبلية وربما تكون تنتظرنا وتهددنا.
- **التحديث الانعكاسي**: يرد مصطلح " التحديث الانعكاسي " في هذا الموضوع بوصفه نتاج هذين الطورين، ولا يعني هذا المصطلح كما يبدو من النعت الانعكاسي ولكنه يعني أول الأمر " مواجهة الذات " إذ يجري الانتقال من مرحلة الصناعة إلى مرحلة مخاطر الحداثة عن غير عمد بمنأى عن أعين الآخرين وبشكل قهري في إطار ديناميكية التحديث المستقلة وفق نموذج الآثار الجانبية المستمرة، ويمكننا القول أن الأوضاع داخل مجتمع المخاطرة تنتج بفعل هيمنة مسلمات المجتمع الصناعي على كل من تفكير وسلوك الأشخاص والمؤسسات على حد سواء.
- **كوزموبوليتانية منهجية**: عابر للقومية من خلال عدم تطابق الحدود سواء قوميا أو دوليا وتحول الحدود بعدم تطابقها إقليميا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وكذلك الحدود بين كل من صانعي قرار المخاطرة ومن تصيبهم الأخطار.

رابعا- سمات ومظاهر مجتمع المخاطرة:

يتخذ مجتمع المخاطرة العديد من المظاهر، وهي كالتالي:

1. **المخاطرة البيئية**: وتتمثل في الاحتباس الحراري، وغياب الوعي البيئي، وثقب الأزون، وتدمير النظام البيئي...
2. **المخاطرة الصحية**: وتشمل الأخطار الصحية المترتبة على المواد الغذائية التي تعرضت لتغيرات وراثية مثل: الربو، السرطان، أمراض القلب.
3. **المخاطرة الاقتصادية**: وتتضمن ارتفاع معدلات البطالة وتدهور مستويات الأمن الوظيفي.

4. **المخاطرة الاجتماعية**: ومثال على ذلك تدهور معدلات الأمان على مستوى الشخصي وارتفاع معدلات الجريمة، وكذلك ارتفاع معدلات الانفصال والطلاق.

سادسا- الآثار المتوقع حدوثها نتيجة مجتمع المخاطر:

- أصبحنا أعضاء في جماعة أخطار عالمية فالأخطار لم تعد شؤونها داخلية لدولة ما كما أن أية دولة، دولة لا يمكنها أن تحارب الأخطار وحدها تماما وهكذا تنشأ ديناميكية صراع جديدة لعدم التكافؤ الاجتماعي.
- أصبح تقدم العلوم يكمن في دور الخبراء في العلوم والتكنولوجيا توضيح التحولات وتصويرها على أساس المبدأ التالي: أن لا أرى مخاطرة إذن لا وجود للمخاطرة، وهذا ليزيد من حدّة الوعيّ بالمخاطرة.
- يحدد الخوف بالإحساس بالحياة حيث تحتل مسائل الأمن والحرية والمساواة المراكز المتقدمة من حسن أولويات على مقياس التدرج القيم مما يؤدي إلى تغليط القوانين وزيادة حدتها أو إلى نوع من الشمولية ضد المخاطر.
- يتمتع الخطر بنفس القوة المدمرة للحرب، وهو يصيب كل الأفراد الأغنياء والفقراء وفي كافة المجالات.

المحاضرة 02: نظريات علم اجتماع المخاطر

يسعى علم اجتماع المخاطر إلى الوصول إلى نظريات تفسر طبيعة التغيرات التي شهدتها المجتمعات المعاصرة نتيجة التطور العلمي والحداثة، وهناك الكثير من العلماء الذين تأملوا ونقدوا المجتمعات الحديثة وتنبأ كل حسب وجهة نظره بالمخاطر التي ستشهدها، ولعل أبرزهم أنطوني غدنز وأورليش بيك.

أولا- نظرية أنطوني غدنز عن مجتمع المخاطرة:

Anthony Giddens ولد غدنز في لندن في 18 يناير1938 عالم اجتماع انجليزي معاصر، تخرج غدنز من جامعة هل سنة 1959 متخصصا في علمي النفس والاجتماع ثم حصل على درجة الماجستير من كليّة لندن للاقتصاد ثم دكتوراه الفلسفة من كلية الملك بكامبردج سنة 1961، يعد غدنز أحد أبرز علماء الاجتماع المعاصرين، نشر مالا يقل عن 34 كتابا. فهو أبرز منظر اجتماعي بريطاني في الحقبة الأخيرة، وفيلسوف ذو رؤية عميقة، تولى منصب مدير جامعة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية ومستشار توني بلير رئيس وزراء بريطانيا السابق. وقد اهتم بدراسة الفعل الاجتماعي وبواعثه وأهدافه ومقاصده، والواقع الوجودي للحياة الحديثة وبخاصة طابعها الاقتلاعي، والمواقف الثاقبة الناتجة عن "التحول اللغوي" فى الفلسفة، ودور الفعل في صياغة الواقع الاجتماعي بأبعاده المختلفة. وبذلك يشارك غدنز العديد من علماء الاقتصاد، وعلماء السياسة، وعلماء الاجتماع وفلاسفة الحياة والأخلاق واللغة، يشاركهم اهتمامهم بالفعل ذلك أن الإنسان لا يوجد إلا بقدر ما يعمل وبالعمل يتحقق الإنتاج ويتقدم المجتمع، وتصنع الذات، ويتفاعل البشر مع بعضهم البعض .

ربما كان عالم الاجتماع الانجليزي أنتوني غدنز هو الذي أبرز بقوة العلاقة بين العولمة والمخاطر، يقول أنتوني غدنز في كتابه علم الاجتماع:

" تؤدي العولمة إلى نتائج بعيدة المدى وتترك آثارها على جوانب الحياة الاجتماعية جميعها تقريبا غير أنها باعتبارها عملية مفتوحة متناقضة العناصر، تسفر عن مخرجات يصعب التكهن بها أو السيطرة عليها، وبوسعنا دراسة هذه الظاهرة من زاوية ما تنطوي عليه من مخاطر، فكثير من التغيرات الناجمة عن العولمة تطرح علينا أشكالا جديدة من الخطر، تختلف اختلافا بيّنا عما ألفناه في العصور السابقة. لقد كانت أوجه الخطر في الماضي معروفة الأسباب والنتائج، أما المخاطر اليوم فهي من النوع الذي يتعذر علينا أن نحدد مصادره وأسبابه أو نتحكم في عواقبه اللاحقة ".

توجد علاقة وثيقة تربط المرض بالعولمة، ذلك أن ابتكار النقل بالحاويات والوسائل الجديدة لتجميد الأطعمة – وهي ابتكارات ترجع إلى بضعة قرون فقط – تعني إمكان تخزين الأطعمة لفترات طويلة وشحنها إلى مختلف أنحاء العالم . ومنذ ذلك التاريخ شرع كل من يعيشون في بلدان ومناطق الوفرة الكبيرة في إتباع أسلوب الحمية أي النظام الغذائي . معنى هذا أن كل امرئ أخذ قرارا فاعلا بشأن كيف وماذا يأكل في ضوء الأطعمة المتاحة على مدى العالم تقريبا . وطبيعي أن اتخاذ قرار بشأن ما يأكله المرء هو أيضا قرار بشأن " الكيفية " التى يكون عليها بالنسبة إلى جسمه، وتتجلى نتيجة ذلك في مرض الخلقة وليد النظام الذاتي الصارم في التغذية الذي يتبعه الأفراد الذين يعانون من توترات اجتماعية محددة وبخاصة النساء في ريعان الشباب.

وهكذا استطاع غدنز بهذه العبارات المركزة أن يصوغ مشكلة البحث في موضوع المخاطر وأن يحدد علاقتها الوثيقة بالعولمة. ولعل مما يضيء الجوانب المعتمة في موضوع علاقة المخاطر بتطورات المجتمع الصناعي تعقب التاريخ السياسي والمؤسسي له باعتباره مجموعة قواعد نشأت من خلال صراعات متعددة للتعامل مع مخاطر هذا المجتمع وضروب عدم الأمان التي صاحبت تطوراته المتعددة. وقد نتج عنها المخاطر البيئية، حيث يعود جزء كبير منها إلى التدخل الإنساني في مجال البيئة الطبيعية واندفاع الرأسمالية المتوحشة بمشاريعها العملاقة في الصناعة والزراعة لاستنزاف الموارد الطبيعية، مما أحدث خللا في التوازن البيئي. ويكفي أن نشير إلى ظاهرة الاحتباس الحراري وآثاره على الغلاف الجوي للأرض فقد تبين في السنوات الماضية أن حرارة الأرض أخذت في التزايد بفعل احتباس الغازات الضارة داخل الغلال الجوي، وينطوي الاحتباس الحراري على نتائج مدمرة.

لذلك ميز أنطوني غدنر بين نوعين من المخاطر:

أ. **مخاطر خارجية**: وهي ما ارتبط بالتقاليد والطبيعية (الأوبئة والفيضانات والمجاعة والجفاف والبيئة...) والتي تحدث خارج إرادة الإنسان.
ب. **مخاطر مصنعة**: وهي التي يتدخل فيها الإنسان بإرادته والتي تنجم عن قصور وقلة خبرة الإنسان.

ثانيا- نظرية أورلش بيك عن مجتمع المخاطرة:

يمكن القول أن الرائد الذي فجر قضية المخاطر ووضعها على قائمة جدول أعمال العلم الاجتماعي المعاصر هو أولرش بيك أستاذ علم الاجتماع الألماني حيث أصدر كتابا شهيرا أثر في أجيال من الباحثين، وهو كتاب « سوسيولوجيا المخاطر » الذي كتب أولا بالألمانية ثم ترجم من بعد إلى الفرنسية والانجليزية. وله كتب أخرى في الموضوع يتعمق فيها في بحث مختلف قضايا المخاطر.

منطلقات أورلش بيك في نظريته: فينطلق أورلش بيك من ثلاث منظورات وهي:

1. **العولمة**: حيث عملت على عولمة المخاطر والأخطار وتجسيد اللحظة اللاقومية مع تراجع الدولة القومية فبات من الضروري أن يتم فهم المخاطر في سياق عالمي بعد ما كانت في سياق قومي داخلي.
2. **التصوير والإخراج**: وهو يعني أن المخاطرة أمر كارثي متوقع ومتنبأ به يتم إخراجه وتصويره بصفته موقفا ذا مصداقية، ما يكسبه الصفة الحقيقية فيشكل بصورة نمطيّة ذهنية في عقول الناس بأن الكارثة حاضرة بينهم، أي أن مستقبل الكارثة حاضرا، الأمر الذي يهدف غالبا إلى منعها وتفاديها والتصوير السينمائي للمخاطرة لا يعني تزوير الحقيقة من خلال تزوير مخاطر غير حقيقية، وإنما هو عرض سياسي إعلامي للجمهور حتى يدركوا مستقبل المخاطرة ومنه يتم تفادي الوقوع في الكارثة من خلال التأثير عل القرارات الحالية وحسن إدارة الوضع والتحكم فيه.
3. **المقارنة بين المخاطر البيئية والاقتصادية والإرهابية**: انطلق **بيك** في تحليله في ثلاث منطقيات للمخاطر الكونية وهي: مخاطر بيئة، مخاطر اقتصادية مالية، مخاطر الإرهاب فاعتبر أن المخاطر البيئة والاقتصادية أي عن حسن نيّة، أما مخاطر الإرهاب فهي أي عن سوء نيّة ويربط بيك كل هذه المخاطر بثقافة المجتمـع الناشئة فيـــه وفق ما أسماه بـ « الإدراك الثقافي للمخاطر»، وهو أن كل مجتمع له تقييميه الخاص لمستوى المخاطر ودرجتها، وكلما قلت إمكانية تقدير الخطر اكتسب الإدراك الثقافي المتنوع المخاطر ثقلا أكبر وتنوعت المخاطر والأخطار التي يعكف علم الاجتماع المخاطر على دراستها لتشمل مخاطر الدمار البيئي مثل: تلوث الهواء والبحار والغازات الدفينة....

إن " الإخراج السينمائي " لا يعني هنا ما تتضمنه الكلمة في اللغة الدارجة من تزوير للحقيقة من خلال تضخيم مخاطر " غير حقيقية ". كما أن التمييز بين المخاطرة بوصفها كارثة متوقعة والكارثة الفعلية يجبرها أكثر على تناول دور الإخراج السينمائي، لأنه من خلال الاستحضار فقط أو بالأحرى التصوير والإخراج للمخاطرة العالمية، يصبح مستقبل الكارثة حاضرًا، الأمر الذي يهدف في الغالب إلى منعها وتفاديها، من خلال التأثير على القرارات الحالية. عندئذ قد يكون التكهن بالمخاطرة " نبوءة تناقض ذاتها "، الأمر الذي يتضح بشكل مثالي في الجدل الدائر حول التغيّر المناخي، الذي ينبغي أن يعوق تغيّر المناخ ويحده.

ويمكن الفارق الجوهري بين الأخطار البيئية والاقتصادية من جانب، وبين التهديد الإرهابي من جانب آخر في أنه في الأخير تحل النيّة والعمد محل المصادفة، حيث تتميز الأخطار البيئية والأخطار الاقتصادية بناء على التيارات المالية العالمية- ورغم كافة الاختلافات- من خلال قائم مشترك فيجب فيهما في جدلية الخير Goods والشر Bads، بوصفها آثارها جانبية تستلزمها الصدفة لقرارات في عملية التحديث، ولكن ذلك لا ينطبق في حالة الإرهاب الجديد فهنا تزال قواعد العقلانية الخاصة بحسابات المخاطرة السائدة حتى الآن لأن القصد يحل محل الصدفة وسوء النيّة يحل محل حسن النيّة(.

كما ركز على مخاطر الإرهاب وانتشار أسلحة الدمار الشامل مقترنا بحالات يلوح فيها إمكان استخدام العنف الجمعي. صحيح أن انتهاء الحرب الباردة حد من إمكان وقوع مواجهة نووية يمكن أن تدمر الحياة البشرية على الأرض بيد أن الخطر لم ينتف تماما . وتوجد الآن حوالي خمس عشرة دولة تملك أسلحة نووية، وتزايد العدد منذ نهاية الحرب الباردة بسبب ظهور عدد من الأمم النووية الجديدة عقب سقوط الاتحاد السوفيتي . وبات انتشار الأسلحة النووية أمرا مرجحاً نظرا إلى الأعداد الكبيرة من المفاعلات " السلمية " الموجودة الآن ولها قدرة على إنتاج البلوتونيوم، علاوة على التجارة العالمية ذات الصلة عمليا في هذا الشأن.